رواية العطر وممكنات الكتابة الروائية

سعد محمد رحيم

الرواية، كما يرى باختين، هي النوع الأدبي الوحيد الذي لم يكتمل بعد، وبنية هذا النوع لا تزال بحاجة إلى زمن طويل لتستقر بشكل نهائي، ولذلك. وبحسب باختين أيضا . فإننا لا نستطيع التكهن بجميع إمكانات تشكلها (١) فدوماً هناك فرص مفتوحة لمغامرات إنشائية/ بنائية في كتابة الرواية واختيارات لا تحصى في استثمار موضوعات هذا العالم، لتجعل من الرواية مناظرة للحياة، تكتسب منها ديناميتها وعمقها وتعقدها وسعتها وتنوعها ولا نهائية فضاءاتها.

وإذا كان بعضهم قد أعلن عن موت الرواية فإن الإنتاج الروائي العالمي المتواصل الذي يخرج علينا بتقنيات مبتكرة وثيمات جديدة، طازجة، في كل حين، يسخف ذلك الإعلان، ويؤكد هشاشته وبطلانه.

❖ ❖ ❖

إن العالم الذي هو مزيج معقد من الأصوات والأبعاد والأشكال والألوان والروائح وحالات متباينة من اختلافات الطقس والمناخ ودرجات مختلفة من الضوء والضياء.. نقول؛ إن هذا العالم مبذول أمام حواس الإنسان التي تطورت عبر القرون. ونحن نتعرف على العالم وأشيائه من خلال الحواس، ولا شك في أن الحاستين المهمتين اللتين نمت المعرفة وتكونت وتطورت بوساطتهما هما البصر والسمع فغدت هذه المعرفة بفضلهما قابلة على التواصل والانتقال بين البشر، فنحن لا يمكننا التعويل على الحواس الثلاث الأخرى (الشم واللمس والذوق) بإيجاد معرفة مقنعة وواضحة بالعالم مع غياب حاستي البصر والسمع، في الأقل هذا ما تعودنا على الاقتناع به. ولكن ماذا لو استغنى الإنسان عن حاستي البصر والسمع الأساسيتين وجعل استخدامهما ثانوياً إلى جانب حاستي اللمس والذوق، واكتفى بحاسة الشم وسيلة لتفكيك أشياء العالم؟.

قادتني إلى هذا التساؤل، وكتابة هذه المقدمة قراءتي رواية (العطر: قصة قاتل)❖ لمؤلفها باتريك زوسكند وقد ترجمها إلى العربية الدكتور نبيل الحفار، وأصدرتها دار المدى، وهي رواية ذات منحى واقعي/ غرائبي جرت أحداثها قبل أكثر من قرنين.

ومن الأسطر الأولى للرواية نعرف أننا إزاء شخصية غير اعتيادية " في القرن الثامن عشر عاش في فرنسا رجل ينتمي إلى أكثر كائنات تلك الحقبة نبوغاً وشناعة " ص,٥ واسم هذه الشخصية هو جان . باتيست غرنوي " وإذا كان اسمه اليوم قد طواه النسيان، على نقيض أسماء نوابغ آخرين، مثل دوساد، سان جوست، فوشيه أو بونابرت وغيرهم، فذلك بالتأكيد ليس نتيجة أن غرنوي، بمقارنته مع هؤلاء الرجال المريبين الأكثر شهرة، يقل عنهم تعالياً واحتقاراً للبشر ولا أخلاقية، باختصار كفراً، وإنما لأن عبقريته وطموحه قد انحصرا في ميدان لا يخلف وراءه أثراً في التاريخ، أي ملكوت الروائح الزائل " ص,٥

إن . غرنوي . هذا لا يعرف له أب.. تلده أمه تحت طاولة تنظيف السمك في السوق . إذ كانت بائعة سمك . وتلقيه كما ألقت أربعة أطفال آخرين ولدتهم في المكان عينه بين أحشاء ورؤوس الأسماك المقطوعة بعد أن قطعت حبل السرة بسكين عملها الملوثة... يصرخ الطفل، على غير توقع الأم فيفتضح أمرها، فيجتمع الناس ويتم استدعاء الشرطة... ولأنها تعترف بأنها كانت ستترك الطفل لمصيره، كما فعلت مع أربعة آخرين قبله فإنها تقدم للمحاكمة وتعدم، بينما يسلّم الطفل . غرنوي . إلى مرضعة.

ومن مرضعة إلى أخرى، ومن مكان إلى آخر تتكامل السيرة العجيبة لهذا الكائن في مواجهته قدره، حتى ليبدو وكأن هذا القدر مرسوم بدقة وصرامة وقسوة، لا سبيل للفكاك منه.

تكتشف مرضعته الأولى أنه بلا رائحة فتنفر منه، أما مرضعته الثانية فلا تأبه حين تقع على الأمر نفسه لأنها تستسلم مقابل إرضاعها وتربيتها له مبلغاً من المال. ولأن غرنوي مقزز وبشع وبلا رائحة فإنه سيعمد في ما بعد إلى امتلاك رائحة مثيرة ومميزة، وذات سطوة لا تقاوم ليُخضع بوساطتها العالم لمشيئته، مثلما حلم معاصره نابليون.

يشب غرنوي، فيكتشف مقدرته الفذة على شم روائح العالم وتفكيكها، وفي هذه الرواية تغدو ماهيات الأشياء روائح، والشيء يكون موجوداً من خلال رائحته، وغرنوي يعي قوته تماماً.. قوته في تعرفه على أشياء العالم من خلال روائحها، وإمكانية السيطرة على هذا العالم عبر توظيف هذه المعرفة.

معرفة غرنوي بالعالم معرفة بكر.. فطرية و طبيعية، بلا ميراث فكري متراكم، وبلا محمولات دلالية حافة، وعلاماته ليست سوى روائح.. أي أن أشياء العالم لا تعبر عن نفسها له إلا عن طريق روائحها. وهو . غرنوي . يفكك هذه الأشياء ويقع على عناصرها الأولية، ثم يعيد بناءها منظومة متناغمة من الروائح. فالمتضادات والمتشابكات والصراعات والانسجامات والتحولات وصيرورة الظواهر لا تتم إلاّ من خلال الروائح، وهو لذلك لا يعير أدنى أهمية لكل ما يقع خارج إطار الأشياء المادية لأنه بسهولة لا يمتلك رائحة " فكلمات كالقانون، الضمير، الرب، السعادة، المسؤولية، التواضع، الامتنان وما إلى ذلك مما لا يمكن لهذه المفردات أن تعبر عنه كانت وما زالت بالنسبة له مبهمة " ص , ٣٠

ومن هنا يغدو . غرنوي . وغداً شنيعاً، بشعاً لا أخلاقياً، وكأن المؤلف يريد أن يقول لنا أن العالم ليس مجرد أشيائه المادية فحسب، وإنما هو روح وجمال وقيم ونظام ومشاعر إنسانية، من افتقدها، بوجوده في العالم، تحول إلى شيطان يفتك بالبشر.

إن المعرفة من خلال الروائح لا يمكن . أو من العسير . مبادلتها، وتوصيلها إلى الآخرين. فالعالم ها هنا يحس به ويتم التعرف عليه، حتى من دون وسيلة اللغة . فتغدو المعرفة شاسعة رحيبة إلاّ أنها من أجل الذات وحدها، فهي معرفة أنانية، جد بدائية، وجد بريئة، وجد شخصية، ومكتفية بنفسها، ولهذا فإنها ستصير خطرة لا تأبه بالآخرين، ويصبح الآخرون أشياء هلامية لا ضرورة لها إلا بقدر إتاحة الفرصة للذات للتعبير عن وجودها . وأمام نفسها أولاً. فالحضارة لا تعني غرنوي بشيء إلا بقدر ما توفر له من سبل لامتلاك رائحته العجيبة المرتقبة التي سيخنق من أجلها عشرات الفتيات العذراوات . هن الأجمل في المقاطعة التي سيحل فيها أخيراً. فغرنوي يحاول أن يحدد مبدأ وجود العالم وغايته من خلال الرائحة، وحين يكتشف تلك الرائحة/ اللغز المنبعثة من جسد فتاة عذراء جميلة ينتابه إحساس طاغ بأهميته وفرادته، ويدرك بغتة معنى وجوده، وهدفه البعيد الذي سيكرس ما تبقى من حياته ليحققه. فبعد أن صارت ذاكرته مستودعاً هائلاً للروائح التي كان يلتقطها من هنا وهناك واحتفظ بها في الحجرات السرية من تلك الذاكرة، وبعد أن بات يتوسل بالروائح كي يستدل حتى على طرقه واتجاهاته استدرجته، في يوم ما، رائحة كاللغز " تبع غرنوي أثرها بقلب يخفق فزعاً، فقد أدرك أنه ليس هو الذي يلاحقها، وإنما هي التي أوقعته في شباكها وأخذت تجذبه إليها من دون أية مقاومة من جانبه " ص, ٤٦ كان مصدر الرائحة بعيداً وكان متسلطاً، فراح يمشي ويستدير ويعبر حتى دخل منزلاً فاكتشف النبع، كان النبع فتاة في الرابعة عشرة من عمرها، غاية في الجمال " لم ير وجهها الناعم الموشى بالنمش، ولا شفتيها الحمراوين، ولا عينيها الخضراوين الواسعتين المتلألئتين، فقد أغلق عينيه بإصرار وهو يخنقها، إ ذ لم يكن ثمة ما يقلقه سوى فقدان ولو ذرة من شذاها " ص , ٤٩ هنا اقترف غرنوي جريمته الأولى التي لن يكتشف أمرها والتي ستمهد لجرائم لاحقة سيقترفها حين يقدم على خنق الفتيات العذراوات، بعد أن يكون قد تجاوز الثلاثين من عمره، وكان يقتل من دون أي شعور بالذنب أو الخطيئة. ومن كل واحدة كان يستقطر خلاصة رائحتها بقماشة مدهونة حتى إذا ملأ قنينة صغيرة منها ألقى القبض عليه، وكانت مهمة السلطات عسيرة للاحتفاظ به حتى يوم تنفيذ حكم الإعدام فقد هاجت الناس وسعت مراراً للفتك به وتقطيعه إرباً.

يرسم الروائي مشهداً مثيراً حين يؤتى بغرنوي ليعدم في حفل عام، وقبل أن يهبط من عربته يضع قطرة من تلك الرائحة على جسمه فتحدث المعجزة.. تمتلئ نفوس العشرة آلاف إنسان في الساحة وما حولها بإيمان لا يتزعزع بأن هذا الرجل الضئيل لا يمكن أن يكون قاتلاً " فهو البراءة متجسداً في شخص... هذا ما عرفه الجميع في تلك اللحظة.. من الأسقف حتى بائع العصير، من المركيز حتى الغسالة الصغيرة، ومن رئيس المحكمة حتى صبية الأزقة " ص, ٢٥٠

وهكذا يركع الخادم الذي فتح باب العربة ثم يسجد ويبكي الضابطان القويان ويخلعان قبعتيهما " ولم يكن السادة أصحاب المقام والرفعة الأبعد قليلاً عن الضابطين أقل تحفظاً في التعبير عن عواطفهم الجامحة " ص,٢٥٢ أما قداسة الأسقف فقد أحنى جذعه إلى الأمام حتى لامست جبهته ركبتيه. ثم يتأثر الجميع وتتملكهم نشوة شعورية رهيبة " فكانت النتيجة أن انقلبت تحضيرات إعدام أشنع مجرم في عصره إلى حفلة مجون باخوسية لم ير العالم مثيلاً لها منذ القرن الثاني قبل الميلاد " ص,٢٥٣

يزول عن هذا الحشد تأثير الرائحة بعد ساعات ليعود كل فرد منه حائراً، خجلاً من نفسه، وصامتاً يحاول أن ينسى ما جرى، فيكتشف غرنوي نسبية ما صنع، ومحدوديته وقابليته على التلاشي والفناء، فيصاب بخيبة أمل حين يكتشف أن عظمته التي صنعها من خلال رائحته هي زائلة وزائفة عندئذ يغادر المقاطعة إلى أخرى ومعه بقية رائحته التي وضعها دفعة واحدة على جسده وهو يقترب من مقبرة تعج برجال ونساء من الصعاليك والمشردين واللصوص " وفجأة انسكب عليه الجمال كنار متأججة " ص,٢٦٨ ينبعث العطر طاغياً كاسحاً فيشعر هؤلاء " بأنفسهم منجذبين إلى هذا الرجل الملاك. كانت تصدر عنه قوة امتصاص متوحشة " ص ,٢٦٨ وفجأة ينقضون عليه ويلقونه أرضاً و " كل واحد منهم كان يريد ملامسته، كل منهم أراد أن يحصل على جزء منه، على ريشة صغيرة أو جناح، على شرارة من ناره الرائعة " ص,٢٦٩ يمزقون ثيابه ويغرزون أسنانهم ومخالبهم في جسمه ثم يقطعونه بالخناجر والفؤوس ويلتهمونه حتى إذا انتهوا منه تماماً جلسوا خجلين لا يرفع أحدهم بصره لينظر في وجه الآخر " وعندما تجرأوا أخيراً على ذلك، تلميحاً في البداية، ثم صراحة، كان عليهم أن يبتسموا. كانوا فخورين إلى أقصى حد، فأول مرة في حياتهم فعلوا شيئاً عن حب " ص..٢٧٠ هكذا تنتهي رواية (العطر: قصة قاتل).

إن غرنوي ابن الطبيعة العمياء، وابن بيئتها الظالمة القاسية لذلك فإن القارئ يتعاطف معه في كثير من الأحيان، ويتمنى أن يسلك بطريقة أخرى، ولكنه يبدو مقوداً إلى تلك النهاية المروعة بفعل قوة قدرية قاهرة لا رادّ له، بتلك الرائحة التي ستجعل العالم يركع بين يديه.. إن قطرة واحدة منها كفيلة بأن تجعل الأمراء والأساقفة والنبلاء وجميع الرجال والنساء من علية القوم ومن أسافلهم ينحنون له ويسجدون. وبرائحته تلك صنع الحب العظيم.. الحب المثالي الكامل.. فهو حب حقيقي وزائف في آن معاً.. حقيقي لأنه يفرض نفسه، وزائف لأنه بلا أساس إنساني، وقابل للانتهاء والزوال سريعاً.

تجري فصول هذه الرواية على خلفية الأحداث والوقائع التي أرهصت للثورة الفرنسية ورافقتها، وإذا كان الروائي يتجنب الخوض في تفاصيل التحولات الأساسية التي شهدها المجتمع الفرنسي فإنه يشير هنا وهناك بمشاهد ثانوية ملمحاً إلى الحالة المتغيرة والمضطربة لتلك الحقبة.

(العطر: قصة قاتل) هي من تلك الروايات التي تعتمد سيرة شخصية واحدة من ساعة ولادته حتى موته، ولكنها ليست فقط سيرة هذه الشخصية، بل هي بانوراما مدهشة للتنوع العطري لعالمنا. كذلك، إذا كنا ننقل معرفتنا وتصورنا عن هذا العالم بعده سلاسل من أشياء بصرية أولاً، ومن الأصوات المختلفة ثانياً فإننا في رواية (العطر: قصة قاتل) نتحسس عالمنا في فيوضاته العطرية وكأننا عبر السطور نلتقط ونتشمم شذا الجمال الإنساني وأريج الزهور الفواحة، وعبق الأشجار والصخور والتراب والمطر، وتلك الروائح العذبة الدافئة الرقيقة الحلوة في مواجهتها الروائح الزنخة والعطنة والثقيلة والكريهة حتى ليبدو أن مستوى آخر من الصراع يدور خفية في ما وراء احساساتنا المباشرة في دنيا الطبيعة والإنسان. فغرنوي يكتشف قوة التجاذب والتنافر التي تكمن في روائح الأشخاص والتي تؤثر في مسار علاقاتهم، وفي مصائرهم.

(العطر: قصة قاتل) رواية تلخص معرفة مختلفة بالعالم عبر حاسة بقيت ثانوية فاستخدمها الروائي بحذاقة واصلاً بها إلى أقصى مقدرتها في عمليات التفكيك والتحليل وإعادة بناء العالم، وتكوين تصور خاص عنه.. فهي إذن إنجاز روائي آخر يثبت أن هذا النوع الأدبي لا يزال يمتلك من الممكنات التي تبدو أنها غير قابلة للنفاد، لأنها ممكنات العالم والحياة والوجود.

محطات عبد الكريم كاصد

عبد الكريم كاصد

زهير كاظم عبود

من يعرف عبد الكريم كاصد يعرف حتماً أزقة البصرة والرباط والبراضعية والعشار والخليلية ويشم في كلماته نسائم التنومة وبساتين حمدان ومهيجران وخمسة ميل، ومن يعرف عبد الكريم كاصد يلمس مدى الغليان الثقافي الذي يجيش داخل روحه الهادئة والوادعة، ومن يعرف عبد الكريم كاصد يلمح موجات شط العرب و نسائم البحر المتمددة فوق سواحل عدن في عيونه ويشمها من روحه من بين انفاسه، ومن يعرف عبد الكريم كاصد يقرأ فوق روحه تلك الأغتربات والعذابات والرحيل وطفولته التي اضاعها بين حدائق الاندلس وتأملات شط العرب وكازينو البدر وجزيرة السندباد منقوشة لايستطيع نسيانها او غض الطرف عنها، وبين ايام عدن وموانئ الغربة المالحة التي اكلت نصف عمره، وبين وردة البيكاجي وغرف النوم الضيقة والشقق التي لاتتسع لأرواحنا، والبنايات المكتظة بالبشر التي تستمع فيها لهمس الجيران وتضيع فيها لون الحيطان، وشوارع تضم كل اللغات وكل الالوان والأجناس، وبين ضجيج لندن وبساطة البصرة، وهواء لايتشابه مع نسائم الشرجي في الجنوب التي تملأ النفس وتضيق بها الصدور لكن لها نكهة لاتتشابه مع كل نسائم الدنيا فيشتاق لها كل ابناء البصرة الممتلئين بالطيب والعشق والحنين .

من يعرف عبد الكريم كاصد يدرك سيطرة الطفولة على حكاياته وذكرياته فقد أضاع طفولته ولم يكمل أستمتاعه بالمراهقة، وانتخى كما ينتخي الكبار ليلغي كل مايخصه رافعاً بيرقاً لايتشابه مع البيارق التي ترفعها المواكب أو العشائر، بيرقاً للفقراء والحالمين بوطن جميل جمال ورود الحدائق اليانعة وفقراء يأكلون الخبز وتملأ الكرامة سقوف بيوتهم.

ولعبد الكريم كاصد لغة يعتمد البساطة فيها فيدخل القلب من جميع الجهات من دون ان يتحدد في جهة أو قالب ما، وحين يكتب شعراً ينطلق في فضاء رحب لاتحدده المسافات ولاتوقفه علامات المرور.

وبالرغم من النتاج الشعري الغزير الذي بدأ في العام ١٩٧٥ حين أصدر عبد الكريم كاصد مجموعته الشعرية (الحقائب)، ليلحقها بمجموعته (النقر على أبواب الطفولة) في العام ١٩٧٨ ثم الشاهدة ١٩٨١، ووردة البيكاجي ونزهة الالام وسراباد ودقات (تيماء) لايبلغها الضوء وقفا نبك ٢٠٠٢، فأن رحلة شعرية مثل هذه جديرة بالأنتباه وأن نتوقف لنتأملها ونستمتع بها.

ففي قصيدة (قفا نبك) التي اخذت المجموعة عنوانها في محاولة لأعادة كتابة معلقة الشاعر أمرئ القيس بأسلوب آخر، يقول:

((قفا نبك من منزل لحبيب
عفته الرياح
وطافت بارجائه الموحشات الظباء
كأني يوم الرحيل لدى شجر الحي
ناقف حنظل
يقول صحابي ((تجمل))
وأني
ودمعي شفائي
وهذي الديار انيسي
ولطالما فاض دمعي
وسال على النحر...))

ويستمر الشاعر كاصد في قراءته المملوءة بكلمات تختلط بالبريق ليضيء في عتمة الليالي نوارس فوق رمال الجزيرة يعلقها فوق سنان الرماح في مدخل سوق عكاظ أو يكتبها بقصبة مملوءة بسواد الليل العربي البهيم فوق رقائق جففها من جلد غزال كبا في رمال الجزيرة لم يكن أرق من كلماته المنقوشة والمملوءة بخيوط الضوء، يعلقها فوق أستار خيمته أو ينثرها فوق هواء الجزيرة اللافح تصير نجوماً وتضيء، يحبرها من روحه الممتدة بين فيافي البصرة ورمال الشعيبة والزبير والمبللة بماء البحار والخلجان لاتستقر من دون اسم العراق واقعاً او تخيلاً، فتصير طيوراً تهاجر أو سحابة تتحول الى ماء تمتزج بتراب العراق.

((قعدنا له من بعيد
وأضحى السحاب يسح ويهدأ
ثم يسح ويهدأ
حتى أنحنى الدوح وهو يكب على وجهه
ثم لم يترك أي جذع ودار بـ (تيماء)
يا لـ (طمية) من جبل
مغزلاً صار وسط السيول
ويالـ (أبانا) وقد صار شيخاً تزمل بالعشب
أي سباع طفت
وأي سحاب يغطي السماء
ويلقي بـ (بسيان) صدره
ينزل كل الوعول من العصم
من هضبات الجبال.))

وفي القصائد العشر التي ضمتها المجموعة يستطيع عبد الكريم كاصد ان يعود بنا القهقرى الى رمال الجزيرة وملوك الطوائف بالاندلس وابن الهيثم والمعري والطبري وابي حيان التوحيدي والمعتمد بن عباد وابن القارح وطبقات الشعراء، لكنه لايلبث أن يقف منتصباً في حضرة الجواهري الكبير وهو يوزع روحه بين المنافي.

((في حضرة الاعمى
أنمسح دمعة؟
أم اننا في حضرة الاعمى
نجاهر عامدين بقوة الأبصار؟...

وفي قصيدة (غربة ١٩٥٠) يقول:

يلتجئ الناس الى نارك في البرد
ويخشون رمادك....

ولعبد الكريم كاصد ترجمة شعرية عن الفرنسية لكلمات جاك بريفير ١٩٨١، وانا باز لسان جون بيرس ١٩٨٧، وقصاصات لياتيس ريتسوس ,١٩٨٧

لكنه في العام ٢٠٠٤ يصدر مجموعته القصصية (المجانين لايتعبون)، وضمت ٢٤ قصة قصيرة تجد ان مناخات العراق واجواء البصرة حاضرة فيها من دون ان يشعر المبدع عبد الكريم كاصد بهذا الجانب فتنطلق كلماته النابعة من صميم روحه تعكس مابداخلها، ففي قصة عالية (مرة جلسنا في الشرفة طلبا للهواء فلم يأت)، (في ظهيرة يوم قائظ)، وفي قصة الحلم (تدخل الريح، ويشم رائحة العشب) وفي قصة اختفاء عبد الرحمن (قرية حمدان، وحشة النخل، الجاخور، النوم في الظهيرة)، وفي قصة المجانين لايتعبون التي اعلنها عنوانا لمجموعته يوظف اللهجة العراقية الشعبية في الحوار. في حين يوظف كاصد ماعلق بذاكرته من ايام الطفولة من قصص المدرسة ليدلقها علينا بصورتها الانيقة والمؤطرة التي يستل لها اسماً من بين ثنايا كلماتها (الطارق مثلاً)، وفي قصة الجرس تشعر بخوف الانسان والرعب الذي يملأ النفوس من مجرد صوت الجرس وهي تشعرك بحجم المعاناة التي يعيشها الناس في زمن المحنة.

ونستطيع أن نجزم أن البصرة تجيش في روح الشاعر فلاتفارقه، وبالرغم من جبل الكتمان الذي يبرقع روحه فأنه لايلبث أن يفصح عن مكنوناته بأبيات شعرية متنوعة من الشعر الشعبي الدارمي والابوذية والزهيري ليضمها ضمن مجموعته الشعرية (زهيريات) فيقول في خاتمة قصائده بصراي:

ياذاهبين الى بصراي في طرب
منكم مدامي ومني نشوة الحادي

يقينا ان المحطات التي عبر الشاعر ارصفتها وحط رحاله حذرا يتلفت من ملاحقة السلطان وهو يضم دفاتره الشعرية فوق قلبه لايملك غيرها وضميره، هذه المحطات زادت من قدرة الشاعر ومتانة تجربته الشعرية وقدرته على العطاء، وهذا التنوع في الأمكنة المرافق محنة الزمان العراقي التي عاشها عبد الكريم كاصد، جعل من تجربة عبد الكريم تجربة جديرة بأن تلتفت اليها المؤسسات الثقافية التي تخلصت من أرث الدكتاتورية في العراق، فقد بقي عبد الكريم كاصد متمسكاً بأصالة الكلمة ورونقها ونظافتها ووظف جميع تفاصيلها الشعرية والقصصية لصالح محنة الانسان وقضية شعب العراق.

هكذا

عباس اليوسفي

-١-
هكذا
نودع حافلة
وننام باخرى
والصراخ ما زال يهرول
باتجاهنا
ونحن منشغلون بالحافلات
التي تمضي
ولا تعود إذ تمضي
نودع انفسنا
في صهاريج العزلة
ونتفشى في الدروب
كأوبئة مراهقة.

-٢-
محمية اعمارهم من التجاعيد
محمية الشرائط
التي تدخر لعابهم
ما دام في ارواحهم وجع
لاكثر من مناسبة
فهم محميون
كثيراً ما يندبون الربيع
وقد ذبحوا ازهاره
يندبون السماوات السبع
بعد ان امتلأت كروشهم
برحيقها
ويسرفون طويلاً
بتمجيد لياليهم الداعرة
التي لم تقتن حلماً واحداً
في صناديقهم
المحشوة بالأكاذيب والوشاية.

إلى انظار وزارة الثقافة

استحقاقاتنا في المؤسسات الثقافية الدولية

باسم حمودي

تبدو استحقاقات العراق دولة على المؤسسات الثقافية العربية والعالمية مسألة ضائعة بين الاوراق الذاهبة والآتية بين بغداد والعواصم المختلفة عبر مندوبين لا يفعلون شيئاً سوى السفر اليوم والمقاطعة المتعالية بالامس في عهد النظام السابق فالعراق دولة وهي عضو مؤسس في الجامعة العربية وفي منظمة الامم المتحدة وفي (طيب الذكر) مؤتمر عدم الانحياز ودوله الـ ٧٧ وفي المؤتمر الاسلامي وفي بعض مؤسسات مجلس التعاون لدول الخليج وهو بذلك صاحب استحقاق في المؤسسات الثقافية والعلمية الخاصة بهذه المنظمات الدولية، فهو عضو في المنظمة العالمية للتربية والثقافة والعلوم (اليونسكو) التي تتفرع عنها عدة لجان ومؤسسات منها مكتب التراث الشعبي ولجنة الثقافة ولجنة العلوم ومنظمة حماية حق المؤلف، والعراق ليس له الا ممثل واحد بدرجة سفير من دون ان يكون له موظفون دائمون لهم قدرة على العمل في هذه المؤسسات الحيوية عالمياً، في وقت اخذ فيه اخوة عرب ومسلمون حصصهم كاملة في هذه المؤسسات، والعراق لم يحصل - كغيره من الدول - على أي دعم في برنامج اليونسكو الخاص بصيانة الممتلكات الثقافية عدا مدينة بابل التي انسحب عنها تمويل منظمة اليونسكو بسبب تدخلات السلطة السابقة في عمارة هذه المدينة التاريخية وتلك حجة من الممكن إزالتها بإزالة التغييرات غير الحضارية التي تمت في بابل لضمان استمرار التمويل الدولي في التنقيبات فيها وفي العديد من ألاماكن الاثارية التي تحتاج إلى صيانة او تنقيب وهو امر لم يحدث حتى اليوم في وقت حصلت فيه دول صغيرة على تمويل ودعم شامل لمختلف مؤسساتها الاثارية والثقافية، واذا كان من المهم هنا ذكر جهود اليونسكو في الدعوة إلى اعادة المسروقات من الآثار العراقية وإلى الترويج الدعائي لذلك، والعراق عضو - كما قلنا - في المؤتمر الاسلامي والمكاتب التابعة له وهي مكاتب ثقافية بوجه عام تطبع وتنشر العديد من الكتب والدراسات ولا اثر لعراقيين فيها وعسى المانع ان يكون خيراً.

والعراق عضو في الجامعة العربية ومؤسساتها الثقافية وقد كان المرحوم الاستاذ قاسم الخطاط في الستينيات موظفاً فيها قبل تقاعده وقد اسهم في دعم النتاج العراقي لكن ذلك انتهى بتقاعده عدا جهوده في تضييف المحقق محمود شيت خطاب ولكن لا اثر لنتاج عراقي في المواقع الثقافية، وقل ذلك على مجلس التعاون الخليجي الذي كانت له عضوية في مكتب التربية الخاص به ومؤسسة التراث الشعبي في قطر وقد اوقفت عضويتنا - وذلك حق - بسبب احتلال الكويت ولكنها لم تسترجع بعد زوال السبب الذي اودى بهذا البلد إلى الخراب والعرب إلى التشرذم.

من جهة اخرى فقد عمدت الجارة ايران إلى التقارب على المستوى الثقافي وطلبت وفداً عراقياً لحضور مهرجان الشيخ المفيد منذ سنوات ولكن الامر لم يستمر ولم يستثمر وكذلك الحال مع الجارة تركيا التي لها مؤسسات ثقافية تتعلق بالمرحلة العثمانية ولنا مؤرخون وكتاب منها اضافة إلى اهتماماتها الاثارية والتراثية التي من الممكن الافادة منها على صعيد المعمار والخط.

اننا إذ نضع ذلك امام وزارة الثقافة ونذكر بحقوقنا وبقدرتنا على تجاوز الاهمال والتسيب والابعاد والتهميش نرجو وضع رجال قادرين على العمل من اجل التغيير وسد الفراغات والافادة من (حقوقنا) المسلوبة او المهملة في هذه المؤسسات الثقافية العالمية.